"الانشقـــــاق النفســـــي" و تأثيراته في الشخصية ألعراقية

www.arabpsynet.com/documents/DocSudadPsySchism.pdf
د. ســــداد جواد الـتميمي
استشاري المراض النفسية العصبية
MB ChB MD Wales FRCP FRCPsych
استشاري أمراض النفس - كاردف. المملكة المتحدة
sudad.jawad@btinternet.com

"**الانشقـــــــــاق**" هي عملية نفسية يمارسها الأنسان في مختلف مراحل تطوره ألنفسي و الاجتماعي حيث يلجأ أليها للتخلص من مشاعر بغيضة تجاه الأخرين. تتولد هذه المشاعر ألبغيضة جراء اجتماع صفات ، يعتبرها ألفرد إيجابية و سلبية في نفس الوقت، في الأخرين من حوله، و يتبع ذلك صعوبة في الاستمرار بالشعور بالطمأنينة ألنفسية لذاته . عند ذاك يلجأ ألفرد ألي ممارسة الانشقاق ألنفسي في ألمقابلين من حوله بتصنيفهم الى صالح او ملائم للغاية أو العكس تماماً أي سيء او غير ملائم للغاية.

عملية الانشقاق هي عملية نفسية حركية قوية يتخلص منها ألفرد مع تطوره ألنفسي، و الاجتماعي، و ألثقافي، و ضمان احتياجاته ألأساسية في ألحياه. يصاحب ألتخلص من ظاهرة الانشقاق شعوره بالطمأنينة و قبول تواجد صفات عدة في من حوله، بعض منها إيجابي و ألأخر سلبي، بدون أن يمنع ذلك اتصاله بهم أو ألتعايش معهم. أما أذا فشل الفرد في الانتباه الى وجود الانشقاق في ذاته و انعكاسه عل تصرفاته تجاه الأخرين، يبدأ عند ذاك بممارسات تستهدف تدمير ألمقابل الذي يعتبره مصدراً لصفات سلبية بغيضة مستهدفاً من خلال ذلك الشعور بالطمأنينة و الارتياح ألنفسي .

الشخصية الحيادية

أن كلمة ألشخصية مشتقة من اللغة اللاتينية و تعني القناع. تعرف ألشخصية بانها مجموعة صفات حركية منتظمة في حوزة ألفرد و ألتي تؤثر و تحدد تصرفاته، طموحاته، و أفكاره. عند استعمال تعبير ألشخصية يجب التمييز بين ثلاثة تعابير مختلفة و ان كانت مرتبطة وهي:

أسلوب ألفرد ألشخصي.

تنظيم شخصية ألفرد.

اضطراب شخصية ألفرد.

يتميز أسلوب ألشخصية ألحيادية باستعمال الانشقاق في تقييم محيط حياتهم و من فيه، فترى كثرة تسفيه من حولهم أو إعطاء صفة ألمثالية للآخرين. أما مرحلة تنظيم ألشخصية بالحيادية فترى هيمنة الانشقاق في جميع تعاملاتهم مع محيطهم و ألمجتمع عامة. أما مرحلة اضطراب ألشخصية ألحيادية فهي مرحلة مرضية تؤثر سلبياً على ألفرد و من يعيش في محيطه.

يتم تمييز اضطراب ألشخصية ألحيادية بتواجد اربعة أو اكثر من المعايير أدناه:

علاقات فردية تتسم بالشدة و عدم الاستقرار.

ألتهور في التصرفات.
غياب الاستقرار ألعاطفي.
ألغضب.
تصرفات انتحارية أو مشوهة للفرد.
ألشكوى من الشعور بالفراغ و الملل.
ألقلق من تخلي الأخرين.
هفوات الانفصال عن ألواقع و سلوك شبه جنوني.

مراحل نضوج الشخصية

لدارسة مراحل نضوج ألشخصية ألعراقية لا بأس من البدء الى مراحل التطور الثمانية ألتي تلازم ألفرد طوال حياته:

أولاً: ألأمل في الحياة على خلفية الثقة او عدم الثقة في من حولنا. تبدأ هذه ألمرحلة في سنوات الرضاعة و لكن فاعليتها لا تختفي في ألتعامل مع بقية أفراد المجتمع في مختلف مراحل الحياة.

ثانياً: الإرادة على خلفية تشجيع ألطفل على الاستقلال دون الشعور بالفشل أو الخزي أو ألعار. تبدأ هذه ألمرحلة بتشجيع ألطفل على ألتعلم دون الحماية ألمطلقة أو الإهمال من قبل ألمكلفين في رعايته.

ثالثاً: الغاية او الغرض في الحياة عن طريق تشجيع ألطفل على ألمبادرة دون الشعور بالذنب، و خاصة عند الاختيار. أن تذكير ألطفل بسوء اختياره أو عدم السماح له بالاختيار يولد شعور بالذنب يلازمه على فترات متعددة في حياته.

رابعاً: الكفاءة على خلفية ألمثابرة دون الشعور بالنقص. تهيأ هذه ألمرحل ألطفل لكي يكون أنساناً مبدعاً و منتجاً، كل على حسب قابليته، و يبدأ هنا تأثير البيئة ألتعليمية في ألمجتمع متمثلة في المدرسة أو غيرها من مراكز التعليم.

خامساً: مرحلة الإخلاص و ألدقة في الهوية دون الارتباك في دور ألفرد في ألمجتمع و الحياة. تبدأ هذه ألمرحلة بالتطور ألسريع خلال سنوات المراهقة. أن إعطاء الفسحة للمراهق على استكشاف الحياة بكافة جوانبها دون تدخل الوالدين او من يقوم بدورهما يساعد ألفرد على تحديد هويته بصورة سليمة.

سادساً: مرحلة الشعور بالحب و اختيار المودة في التآلف و الصداقة ألحميمة دون العزلة عند البلوغ.

سابعاً: الرعاية بالأخرين مع الإنتاج دون الركود في الحياة .

ثامناً: الحكمة و هي أخر مرحلة يشعر فيها ألفرد باكتمال الذات دون الشعور بالإحباط و اليأس.

ألعراقي و الانشقاق

لا يختلف ألفرد ألعراقي عن غيره من البشر بمروره بجميع مراحل تطور الحياة أعلاه غير أن البيئة ألعراقية و خاصة في مراحل ألتطور الخمسة ألأولى تتعرض الى بعد طائفي و ديني و عرقي مرتبك و ذو زخم قوي للغاية. المواطنة ألعراقية أو ألقومية ألعراقية، و أن كان التعبير ألأخير غير دقيق في يومنا هذا، تتميز بخلوها من ألمزيج ألذي يجمع بين مواطنة عرقية ألتمركز و هوية دينية تقليدية توحد أفراد ألمجتمع. في أكثر مجتمعات ألعالم ترى احد ألعاملين أو كلاهما كان له دور فعال في نهضة المجتمعات ألحديثة. بعد الهجرة ألأوربية و ألعالمية ألي ألعالم ألجديد

استحدثت الدول هوية شاملة لمواطنيها مستبدلة الهوية ألعرقية والدينية بهوية جديدة كما هو الحال في الهوية ألأمريكية رغم أن رواسب التمييز ألعرقي و ألديني على خلفية العوامل ألقديمة لم تختفي تماماً و خاصة من جانب أليمين ألسياسي.

يتعرض ألفرد ألعراقي في ألمرحلة الخامسة من تطوره الاجتماعي الشخصي ألي زخم الانتساب ألديني و ألطائفي في تحديد هويته لعدة أسباب تتعلق بعائلته و ألمجتمع ألذي حوله. احد هذه الأسباب أرتباك الانتساب ألعرقي و المواطنة ألعراقية ألتي تعرضت لتهميش فكري و اقتصادي على مدى ما يقارب تسعة عقود من ألزمن. يبدا ألمراهق ألعراقي بتحديد هويته ألدينية و أنتسابه ألعشائري2 استجابة لضغوط عائلية و اجتماعية، ولكن رغم ذلك فان ألفرد ألعراقي ليس بمعزل عن قوى فكرية متعددة تولد له ألشك في قيمة الانتساب ألطائفي ألديني و ألعشائري. ينتج عن ذلك حالة تنافر و عدم انسجام لا تطاق لا بد من ألتخلص منها. عند ذاك يمكن أن يحدث ما يلي:

- أذا تهيأت ظروف تعليمية صحية غير مرتبكة في تلك الفترة تكمل مراحل التطور الأربعة ألأولى فان باستطاعة ألفرد تقييم تلك ألمتناقضات و الجمع بينها و نبذ بعض من فروعها وولادة شخصية متكاملة.
- يتم ألتوجه بكل قوة تجاه الانتساب ألديني ألطائفي و ألعشائري أو نبذه تماماً و استحداث هوية جديدة ترفض كل ما هو متعلق بالقديم و ألحديث على حيز ألواقع. هذا هو الانشقاق كمفهوم نفسي حركي ألذي يبدأ بالتسلط على شخصية ألفرد و تفاعله مع من حوله في ألمستقبل.

أن الانشقاق عملية نفسية حركية غير قابلة للإدراك و قد تكون مدمرة للفرد و من حوله. على ضوء ذلك ترى ألتطرف جراء الانشقاق بكل انواعه شائع الى حد ما في ألمجتمع ألعراقي و ألشخصية ألعراقية ، و ذلك لا يشمل ألتطرف ألديني ألطائفي فحسب وانما يمتد الى انتساب غير ديني. أن الانشقاق و كونه متأصل في شخصية ألفرد ألعراقي يفسر قوة ألتطرف في الانتساب السياسي على مختلف أنواعه و ميلها ألي العنف ألدموي في تصرفاتها.

كان ألعراق و لا يزال مسرحاً لعرض الأفكار ألسياسية ذات الإطار ألدموي بكل أنواعها منذ قيامه ألي يومنا هذا. بدأ الانشقاق يأخذ مفعوله في تصرفات الإبادة ألذي تعرض لها مختلف الطوائف ألعرقية و ألدينية أيام العهد ألملكي. تبع ذلك نهضة الحزب ألشيوعي ألعراقي بعد سقوط العهد ألملكي و كان الانشقاق و العنف ألدموي عل ابشع صوره في مجازر كركوك و ألموصل و غيرها في عام 1959. أن من السذاجة محاولة تبرير تلك المجازر سياسيا و فكريا دون الانتباه ألي الى حركة الانشقاق ألنفسية المتأصلة في محور ألشخصية ألعراقية. تبعت مجازر الحزب ألشيوعي مجازر حزب البعث و دموية فكره ألسياسي ألذي اصبح أكثر دموية نتاج تفاعله مع شخصية عراقية يسيطر عليها الانشقاق. لم يتغير الحال بعد قيام مؤسسة ديمقراطية حرة، و ترى العنف يأخذ مظاهر جديدة نتيجة وجود حركة دفاع نفسية مرضية مزمنة في ألشخصية ألعراقية و هي الانشقاق.

يحمل الانشقاق معه ظاهرة الاستقطاب و هي شائعة في تصرفات ألشخصية ألعراقية و خاصة على المجال ألسياسي و الاجتماعي، و ترى ذلك بكل وضوح بميل ألكثير الى تنصيف الأخرين اعتمادا على اسس بدائية. فعلى سبيل ألمثال ألعراقي يصنف من حوله ألي سني و شيعي، و ألشيعي يصنف الشيعة بحسب بلدتهم فهنالك شيعي من الكاظمية، ألنجف و كربلاء. كذلك ترى ألأمر بتصنيف ألسنة، و النصارى و الأكراد بعضهم ألبعض. يصاحب التصنيف ألديني تصنيف أكثر بدائية و هو التصنيف ألعشائري و ألقبلي، و الذي تفشى كوباء مدمر من أكثر من ربع قرن من الزمان و لا يزال ساري المفعول في ألمجتمع ألعراقي حتى يومنا هذا .

رغم أن ألحديث أعلاه يقيم بعض جوانب ألشخصية ألعراقية بصورة سلبية فان تلك ألشخصية لا تخلو من الجوانب الإيجابية ألتي تميزها عن ألشخصية ألعربية عموما. كذلك فان داء الانشقاق متفشي أيضاً في ألمجتمعات ألعربية و غير ألعربية و بدرجات و محتويات مختلفة. أن الانتباه و ألتخلص من ظاهرة الانشقاق هي بداية ألطريق لبناء شخصية عراقية متكاملة كي تصبح نواة لقومية يمكن أن نطلق عليها يوما ما ألقومية ألعراقية.

ألمصادر عند الطلب

*** ***

Arabpsynet
www.arabpsynet.com
Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultAr.ASP
English Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultEng.ASP
French Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultFr.ASP

Subscribe To APN
http://www.arabpsynet.com/Subs.asp

Subscribe to APN Protected Links
SEND YOUR
Scientific CV
http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

Subscribe to APN Editions
(APN Book, APN Journal, e.Psydict)
SEND YOUR
Scientific CV
http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

*** ***

Search Papers
http://www.arabpsynet.com/paper/default.asp
Papers Form
www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm

Search Books
http://www.arabpsynet.com/book/default.asp
Books Form
www.arabpsynet.com/book/booForm.htm

Search Thesis
http://www.arabpsynet.com/These/default.asp
Thesis Form
www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm

Search Arab Psychiatrist
http://www.arabpsynet.com/CV/default.asp
Search Arab Psychologist
http://www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp
CV Form
www.arabpsynet.com/cv/CV.HTM